اربعة بالخط الثلث بينها شروح بخط ناعم . وقد تلطف باستنساخها الدكتور اوغوست هفنر تريل مدرستنا سابقاً فنشكر له لطفه

وهذه النسخ الثلاث متشابهة في الرواية وعدد القصائد وترتيبها ومعظم شروحها استندنا اليها في هذه الطبعة . واضفنا اليها زيادات عديدة وشروحاً مفيدة وتقييدات متفرقة جمعناها من كتب الادباء لتكون عائدتها اشمل واتم . وعلى الله التوفيق

إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جباره اليسوعي (تتمة لما سبق)

من جملة العوامل التي اضعفت قوى الاصلاح الموهوم وكلّلت الكنيسة بالمجد والظفر هي الحركة الاكسفوردية ونتائجها . حركة نشأت سنة ١٨٣٣ ففصلت في تراخي الزمن الريتوالست عن الكنيسة الرسمية وقرّبتهم من الكاثوليكيين تقرباً عظيماً . حركة اكسفورد وما ادراك ما حركة اكسفورد ! هي من اشهر المواقع التاريخية واجلّها شأناً حتى ان المعتدلين مشربا انفسهم (libéraux) يحسبونها اعظم حادث ديني جرى الى عهدنا هذا . وقد اعلن الكردينال نيومن صريحاً ان العناية الالهية قد قرّرت في عالي حكمتها إحداث هذه الحركة (١ والكردينال مانين عدّها نتيجة نعمة فائقة الطبيعة والاب تيرال (Tyrrel) بيّن براهين غير مردودة تاريخية ولاهوتية أنها صادرة عن ارادة الالهية (Month, July, 1897)

بدا فيها اناسٌ لهم في العلم والفضل القدم الراسخ وفي الكنيسة الانكليكانية المقام الشامخ بدوا وقد استفزّهم حبّ الاطلاع على اعمال كنيسة الاجيال الاولى والاجيال المتوسطة . وما نشبوا ان ألّفوا كراريس بل كتباً سُمّيت باسم مقالات للعصر (tracts for the times)(٢ . اودعوها نُخَباً من تعاليم آباء الكنيسة الباحثة عن

(١ (Lectures on Anglican difficultees ; England and Christendom)

(٢ cf. l'abbé de Madaune « La ren. du Cath. en Angl. page 216 et suiv.

اهمّ القضايا الدينية ولم يكن لهم غاية في مشروعهم هذا الّا إبعاد النفوس عن كنيسة رومية مريدين الايقاع والتنديد بها لاهمالها حقائق الكنيسة الاولى وتقاليدها. وما زالوا يعملون في بلوغ اربهم مطايا التنقيب والتنقير الى ان لاح لهم نجم كان احتجب عن اعينهم زمانًا طويلًا نجمُ الحقّ والهداية فعلموا ان الكنيسة الاولى وكنيسة الاجيال المتوسطة التي رغبوا في احيائها هي هي الكنيسة الكاثوليكيَّة وحدها. فهناك كانت النعمة الالهية قد وقفت لهم بالمرصاد. فالبعض واصلوا البحث حتى انتهوا الى ربوع الكثلكة الزاهية والبعض تريَّثوا في مسيرهم فاخترمتهم المنية ولم يدركوا ارض الميعاد واخرون استنبطوا لهم خطةً وسطى « via media » بين الكنيسة الكاثوليكية والانكليكانية فانتظم لهم حزبٌ نجم عنهُ الريتوالِسْت وهو آخذ في النموّ ومترقٍّ في مراقي الفلاح

هذا ولمَّا انتشرت تلك المقالات ارتجَّت حُماة دين الاصلاح واضطربت وجرَّدت على واضعيها سهام العذل وعاذت باولي الحل والعقد من ختلهم ومكرهم لكنَّ يوزي ونيومن المتولّيَين ادارة ذلك الحزب الجديد لم يخذلا واصحابهما بتهديداتهم قاصرًا على مواصلة تآليفهم والمدافعة عن ارائهم الصائبة الى ان صدرت المقالة التسعون فدعاها نيومن ناسج بردتها « ملاحظات في شأن التسع والثلاثين قضية » وكان ذلك في ٢٧ شباط سنة ١٨٤١. فما كادت تتداولها الايدي حتى قام الاساقفة الانكليكانيون وقعدوا واخذ الغضب والقاق مديري الكليَّة الاكسفوردية كلَّ مأخذ. فبعد ان صوَّبوا نحوه نبال اللوم سأل جمهورُهم استف اكسفورد ان يتلافى الخلل ويحمل نيومن على نبذ ما سطرتهُ يداهُ قبل ان يستشري الشرّ ويفدح الثلم في العالم الانكليزي. فلم يجب نيومن الى سؤله بل وعده ألّا يستأنف مقالاته وما كان سبب رفضهِ الّا علمهُ ان كل ما نشره تدعمهُ شواهد غير قليلة وبراهين صادعة انتقاها من كتب ارباب الاصلاح انفسهم. وحينئذٍ اعتزل وظائفهُ المدرسيَّة هو وبعض خلّانهِ الاصفياء ولجأ بهم الى ليتلمور (Littlemore) كما سنورد ذلك في خبر اهتدائه

امَّا نتيجة تلك الحركة الاكسفوردية فهي ظاهرة للعيان وقد تحسبها احدى الكبر. وان خالج صدرك في ذلك ريب فسَلْ الانكليكانيين ولاسيما الريتوالِسْت هل هم كاثوليكيون ام ابروتستانت ؟ فيتحامون من كل نسب ابروتستاني ويعتبرون صفةَ

كهذه ضرباً من الاهانة والتجنف وينشرون طيّ ما لهم من الحقوق الراهنة باتخاذ الاسم الكاثوليكي علماً لهم

أجلْ شتان ما بينهم وبين اجدادهم الذين قدّوا الدين في جزيرة انكلترا فاشبهوا في ذلك العبرانيين المدّعين عن كبرٍ « ان الله لم يكن الّا لهم وهم الّا لهُ » . فلقد ادركوا ان الحقيقة لا تنحصر في حدود مملكة مهما عظمت اطرافها وتسامت صولتها واعملوا الفكرة في ايجاد ادلّة تقنعهم انهم لم يزالوا فرعاً لتلك الدوحة التي غرسها السيّد له المجد فظلّت افنانُها الشرق والغرب . هذا وقد اغمضوا العين وابسلوا ذيل النسيان على تلك القُنّس القاطعة التي فصلتهم بغَرْبها عن شجرة الحق وجعلتهم اغصاناً غادرها عنصر الحيوة او كاد وزعموا انهُ لم يبق بينهم وبين المصلحين الّا رابطة ماديّة تربطهم واياهم برباط الوئام والمحبة . وزد على ذلك انهُ ليس لاشياع الاصلاح في اعينهم منزلة وقد اقرّوا غير مرة بما اجترحهُ هؤلاء الطغاة من المآثم واقترفوهُ من المناهي والمحارم . وليس لهم شرفٌ الّا بانتمائهم الى سلالة الكنيسة الأولى مؤثرين الانتساب الى القديس غريغوريوس العظيم والقديس اغسطينوس رسولهم على الانتساب الى هنريكوس الثامن او كرنر

وان رغبتَ ان تعجم عُودَ قولنا فهيّا بنا نَلِج احدى الكنائس العديدة في عهدنا هذا حيث التأم مثلاً بعض الانكليكانيين التابعين لرسوم الكنيسة العليا (High Church) فاذا دخلتها ظننتها كنيسة كاثوليكية ان اقتصرت على ما يبدو لعينك من ظواهرها . فذبحها من رخام او من حجر علتهُ بعض درجات تحفّ بها شماعد فاخرة وزهور زاهية وقد قام الصليب بل المصلوب ذاتهُ متوسطاً في اعلاهُ . وراءهُ تنبسط لاجلك روافد (rétables) هي من الحسن بمقام تمثّل آلام السيد المسيح تارةً وتارةً البتول الطاهرة وقد احاطت بها زمر الملائكة إحاطة الهالة بالقمر وحوالي المذبح تنتصب امامك هياكل أخر مكرّسة لقلب يسوع الاقدس ولمريم العذراء وللقديس يوسف . واذا عُجت بزوايا الكنيسة وقع نظرك على تماثيل قديسين مختلفين او على صورة الوجه الالهي بينما تظهر لك متتابعة على الجدران مراحل الآلام . وفي مدخل المقدس وامام بعض الصور مسارج تلتهب انوارها واخيراً رايات تمايلت على الحيطان تتلألأ على نسيجها الحريري صورة البتول المجيدة او بعض رموز القربان المقدّس . وممّا

يقضي منك العجب رويتك كأني أعددت لاستماع الاعتراف . ناهيك عن مشاهد شتى أهملنا تبيانها وكلها تذكرنا بالكنيسة الكاثوليكية

واذا أممت صباحاً هذه الكنائس شاهدت حفلة القداس التي كانت تنفر من خيالها اعين الابروتستانت نفوراً وتنقبض صدورهم لمجرد ذكرها انقباضاً . حفلة غدت اليوم من اهم رتبهم البيعية تشهدها ليس مرة بل مراراً كل يوم في كنائس كثيرة لا سيما في الاعياد اذ تملأ آلات السماع صحن الكنيسة برنانها المطربة ويتقدم الكاهن شماس واولاد حاملو الشموع والبخور تتصاعد امواجهُ العطرية الى اعالي السماء . هذا وانهم في خدمهم الدينية وفي صلواتهم وملابسهم الكهنوتية قد عادوا الى ترتيب الكاثوليكيين الذي وذلوهُ دهراً حتى تخالك في كنيسة كاثوليكية لولا انك لا تسمع التراتيل في لغة لاتينية بل انكليزية كما هو مألوفهم . وقيل ان البعض منهم قد توصلوا الى ادخال اللغة اللاتينية في طقوسهم ودليل ذلك انك ترى على مذابحهم صلوات القداس (canons) التي تُتلى قبل التقديس وبعدهُ مكتوبة بهذه اللغة ما عدا كلمات التقديس ذاتها كما شاهدناه في احدى هذه الكنائس . وكثيرون لم يكتفوا باعادة رتبة القداس بل ارادوا ان يتأسوا بالكاثوليكيين مطلقاً فاخذوا عنهم رتبة زياح القربان ونضح الماء المصلاة وتلاوة المسبحة والطلبات جهراً . وقد استأنفوا ايضاً الاحتفال باعياد ورتب تركوها منذ زمن مديد او تغابوا عن حفظها كعيد السلاق وانتقال السيدة الى السماء وتذكار الاموات والجسد الالهي ورتب سبة الآلام والسجود للصليب المقدس يوم الجمعة العظيمة

وما هذا التغيير الخارجي الذي الم بالطقوس الكنسية الا عنوان ونتيجة تغيير اهم واسمى منزلة جرى في التعاليم الدينية . فان وجود السيد المسيح في القربان المقدس وجوداً جوهرياً الذي لم يُلمح اليهِ في منبر الخطابة الدكتور بوزي لارل مرة الا ورمي بالتعصب للمبدإ الروماني اصبح اليوم عقيدة من عقائد الريتوالست . High) (Churchmen ما خلا اموراً طفيفة قد شطوا فيها عن جادة الحقيقة مراعاة لنص الـ ٣٩ قضية التي انكرت تحويل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه

اما القداس المقدم فيهِ ابن الله ذبيحةً عن خطايانا فكثيرون من الابروتستانت يقولون انهم لراضون بما علمهُ بعض اللاهوتيين الرومانيين في هذا الموضوع . ولقد يمكننا

ان نورد تغييرات جمّة حدثت في باب التعليم. فان نبذت الكنيسة العليا وجود مطهر غلبتْ فيه العذاباتُ المادّية على غيرها فهي لا تستنكف من القول والاقرار بحالة انتظار وتكفير تلي الموت يستطيع المؤمنون على تخفيف وطأتها بتضرعاتهم واستحقاقاتهم. ولذا اصبحت الصلاة لراحة انفس الموتى عادة مطروقة وسنّة مألوفة عندهم حتى انك تشاهد غالبًا اوراقًا ضُرب فيها اجلٌ لاقامة قداس لاجل راحتها

وما هو حري بالذكر انهم لا يعانون الاستغاثة بالقديسين والالتجاء الى مريم العذراء. فمن جملة ما قالهُ اسقف لندن الانكليكاني لمّا نُسب اليه بعض الخصوم تطرّقهُ الى الكنيسة الرومانية يوم نُصب تمثال البتول في كنيسة القديس بولس(١ ما طنطنت به جرائد العاصمة لفصاحة لهجته ومتانة برهانه وهو قولهُ: « اذا كان يسوع المسيح الهنا فانهُ بحكمته الغير المتناهية قد فطر بلا ريب خليقةً بزّت بكمالاتها العذراء نساء العالم قاطبةً قبل اتشاحه بسربال طبيعتنا في جسدها الطاهر. ومن منّا لا يوقن انهُ قد بالغ في اكرام ومحبة تلك الامّ الناءه السرّي المختار وموضوع مرضاته الازلية ؟ . فاذا كانت الحالة كذلك فأني لأعجب كلّ العجب لمّا ارى رجالاً يمتعون في ايامنا هذه انفسهم اقتداها الرب بدمه الكريم من الاقتداء بمثاله الالهي ألا وهو اجلال ومحبة منْ استمدّ من احشائها ذاك الجسد وذاك الدم اللذين قدّمهما للعدل الالهي ضحيةً لخلاص العالم. . . ». فلذا تمثال العذراء بقي في منصّته كي يمطر على الامّة الانكليزية سكّايب النعم ويفيض بها من حضيض الاصلاح المرهوم الى حدائق الكنيسة الساطعة الانوار (٢

واليكَ خبرًا اخر اعجبني قوّة حجّته فلا ارى بدًا من التنويه به : لمّا كان نيومن

---

١) جرى سنة ١٨٧٥ في كنيسة القديس بولس الكاتدرائية في لندن اكبر الكنائس الابروتستانية وافخرها بناء ما ادهش الابصار عامّة وارتجّت لهُ الآفاق طرًّا وهو ان اكليروس الابرشية ومجمع كهنتها القانونيين (le chapitre) كانا قد اقاما على المذبح الاكبر باذن ورضى اسقفها تمثالاً للعذراء مريم. فما بلغ مسامع الشعب هذا النبأ الّا وأورى في صدره زناد الغضب وهيج عوامل الاضطراب. فاستدعى عندئذٍ رئيس اساقفة كنتربري اسقف لندن واكليروسهُ ومصافّ كهنتهِ القانونيين قصد محاكمتهم ومجازاتهم شرّ جزاء. على ان الاسقف المذكور قد ذبّ من حقوقه وعن صنيع ذويه فاعاد كلّ الاجادة وقاص من الحكم

٢) راجع L'abbé Delisle : *l'anglicanisme et les sectes dissidentes*. page 108 — 110 (Paris, Retaux, 1893)

في اكسفورد في عداد كبار متوظفيها وضع في حجرته صورة مريم العذراء. فدخل عليه يوماً اخوهُ فرنسيس (كما أطلعنا على ذلك هو نفسهُ) واظهر لهُ عدم ميلهِ الى هذه العبادة فاجابهُ العلاّمة وقد قام في جبينهِ عرق الغضب: «اني لك ولامثالك ان تنسوا هذه الكلمات المسطرة في الانجيل المقدس مباركة انتِ بين النساء!..» أكرم بهِ من مقالٍ! فليتأمل المصلحون وليرعووا في بلادنا عن غيّهم وليسكوا عن قدحهم في شرف العبادة للعذراء امّ الله (١

وممّا ادركهُ الانكليكانيُّون انّ انتسابهم الى سلطة زمنيّة في دينهم تزري بشأنهم. ومن ثمّ اخذوا ينبذون الانتماء اليها ويطلبون لكنيستهم حقّ التسلسل الرسولي المعتبر عندهم كمصدر وشريطة للسلطة الاسقفية والكهنوتية. وكذلك قد عادوا بعد النفور الى المبدإ المصرّح بوجوب العماد وكيفية منحهِ

وما جرى من التقلّب بخصوص سرّ التوبة لم يكن ليدور في خلد احد. فقد نكص الانكليكانيون على اعقابهم فاسترسلوا للاعتراف السرّيّ بعد ما نظروا اليهِ مدّة مديدة بعين المقت والازدراء. وجروا في حفظهِ مجرى الكاثوليكيين انفسهم. فترى المعترف يجثو راكعاً امام المصلوب وقد جلس بالقرب منهُ المعرّف متشحاً بالكتونة (surplis) والبطرشيل وبعد اقرار التائب بخطاياه ينال الحلّة ان كان لها اهلاً. — ولا جرم بان ادخال الاعتراف على هذا النسق قد أولد لاول وهلةٍ ريبةً وقلقاً في الخواطر. على أنّ هذه العادة ما زالت تمتدّ يوماً فيوماً حتى لا يندر الآن وجود كنيسةٍ من الانكليكان يجيون الليل كلّهُ في كرسي التوبة ومنبر الرحمة

ومسحة المرضى التي عبث بها المصلحون «اصلحهم الله» فترجع الى حالتها الأولى مع توالي الايام. فقد اعلنت جريدة «كنيسة الزمان» (Church Times) لسان حال الكنيسة الانكليكانيّة وذلك في ٢٠ ايار سنة ١٨٩٨ ان اسقف شيكاغو البروتستاني قد أحيا في كنيستهِ آثار هذا السرّ الطاهرة

(١ راجع cf. Thureau d'Angin; *La renaissance catholique en Angleterre* page 25 T. 1. (1899).